أ. راضيـــــة ويـــــس
(جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة2)
Email : ouisradia@yahoo.fr

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية العدد 11-2015 ص ص. 82 – 108

Abstract

The competence is seen as a necessary term in the humanities and social sciences today, as it has become common in various areas. The representation of the competence has been developed to a point of view considering the adaptation from the individual with his social, cultural and political environment and its capacity for creativity which are basic objectives promoted by the various companies. The education and training to meet competency model is now a proper strategy in this direction, in fact we have attempted to identify the most important different representation of the concept of competence, this pedagogy view promotes the teacher's skills and learning ,and improve the performance level of each of them through a set of situations and integration projects that put the learner at the center of learning away from indoctrination and repetition that had been put in the pedagogy by objectives.
We also discussed approaches that deal with the competence in its many apprehensions, taking knowledge of the different politico-philosophical reasons and scientific-teaching that prompted the education system to adopt this practice.

***Keywords**: competence, teaching, learning, problem situation.*

الملـــــخص

يعتبر مصطلح الكفاءة في عصرنا هذا كلمة لا يمكن الاستغناء عنها في العلوم الإنسانية والاجتماعية كونه أصبح متداولا في مختلف المجالات. وقد تم تأسيس تصور الكفاءة على منظور يعتبر فيه تكيف الفرد مع محيطه الاجتماعي والثقافي والسياسي وقدرته على الإبداع من الغايات الرئيسية التي تسعى لها المجتمعات المختلفة. ولا شك أن التربية والتكوين وفق نموذج الكفاءات أصبح يشكل حاليا الإستراتيجية الملائمة لهذه الغاية. يحاول هذا المقال التعريف من جهة بأهم التصورات المختلفة لمفهوم الكفاءة هذه البيداغوجيا الجديدة التي تسعى إلى الارتقاء بالمعلم والمتعلم ، ومن جهة أخرى بأهمية هذه الكفاءات في تحسين مستوى أداء كل منهما من خلال جملة من الوضعيات والمشاريع الإدماجية التي تضع المتعلم في صلب التعلم بعيدا عن أسلوب التلقين والتكرار الذي كان معمولا به في بيداغوجيا الأهداف. كما تطرقنا إلى بعض المقاربات النظرية التي تناولت الكفاءة على اختلاف توجهاتها. مع التعرف على أهم الدواعي الفلسفية – السياسية وكذا الدواعي العلمية - البيداغوجية التي دفعت بالمنظومة التربوية إلى تبني هذا النظام.

الكلمات الدالة: *الكفاءة، التعليم ، التعلّم، الوضعية -المشكلة*

مقدمة

تعد عملية التجديد والتطوير في مختلف الميادين مسألة طبيعية، بل ضرورة تقتضيها التحولات والمستجدات في المجتمعات. إذ يهدف كل تطور إلى تحقيق الفعالية والسعي نحو الأفضل في شتى مجالات الحياة . ومجال التربية والتعليم يعد من المجالات التي تعنى بهذا التطوير والتجديد لأنه مجال يتعلق ببناء الفرد، لذا ينبغي إعداد المتعلم للتفاعل والتكيف مع المجتمع والمساهمة في تطويره. وإعداد المتعلم المزود بكفاءات ومعارف تشكل أدوات تسمح له من مواجهة مختلف الوضعيات والمواقف اليومية بنجاح.لكن كل ذلك لن يكون إلا بوجود مؤسسات تسهر على تحقيق هذه المهمة وعلى رأسها المدرسة التي تعمل على تحويل هذا المسعى إلى ممارسة فعلية والذي لن يتأتى إلا من خلال بيداغوجيات تتماشى وهذه الرؤى .

إن المدرسة الجزائرية قد شهدت في السنوات الأخيرة عدة تحولات في مجال التربية والتعليم ،وبعبارة أدق إصلاحات في الأنظمة التعليمية التي تهدف إلى تحديد مقاصد وغايات التعلّم لجعلها أكثر انسجاما مع حاجات الفرد والمجتمع. كما تهدف إلى تحقيق أهداف محددة للتكوين وتعليم الأجيال المتمدرسة ،وتثقيفهم بشكل أنجع وحسب قول **جون ديوي** 1924 " أنه لا بد على نظام التربية أن يعمل على غربلة الأفراد واكتشاف ما يصلحون له من أعمال وإعداد الوسائل التي تعين لكل فرد العمل الذي تؤهله له طبيعته في الحياة" ومع التطورات الحديثة التي عرفها هذا القرن وتطورات البرامج والوسائل التعليمية التي تتماشى والتغيرات السريعة في مجال المعرفة كان من الواجب تحديث البرامج وتعديلها بحيث تأخذ بعين الاعتبار القدرة على تحويل المعارف وتجسيدها في خدمة ومنفعة الفرد والمجتمع و تنمي كفاءاته وتسمح له بالتلاؤم مع الواقع المعاش.

ونظرا لكل هذا فإن هذه التحولات قد مست مجال مقاربات التدريس في المدرسة الجزائرية ، حيث يمثل الانتقال من بيداغوجيا الأهداف إلى بيداغوجيا الكفاءات آخر هذه التحولات . فالمدرسة الجزائرية والنظام التربوي ككل قد واجه مشكلة تجزئة المعارف التي ميزت المناهج السابقة، إذ تظم في ثناياها قائمة من المفاهيم يجب على المتعلم تعلمها، وبعض المهارات عليه اكتسابها في كل مادة من المواد الدراسية ، والنتيجة هي تراكم المعارف لدى المتعلم دون إقامة روابط بينها.

ولهذا ارتأت المدرسة الجزائرية من خلال الباحثين في مجال المناهج والمختصين في وضع البرامج أن تغير من سياستها التعليمية والبحث عن طرق ووسائل أكثر نجاعة تجعل من الفرد المتعلم عضوا فعالا في الصف الدراسي وله القدرة على بناء تعلماته بنفسه . ولهذا الغرض ونتيجة لعدة أسباب غيرت من هذه السياسة التعليمية من خلال تبنيها نظام التعليم بالكفاءات. فما المقصود بالكفاءة ؟ وما هي أهم المقاربات النظرية التي تناولت الكفاءة ؟ وما الأسباب أو الدواعي التي أدت بالمنظومة التربوية الجزائرية إلى العمل وفق المقاربة بالكفاءات؟

1- مفهوم الكفاءة

إن للكفاءة تعاريف مختلفة ومتعددة باختلاف العلماء والباحثين في هذا المجال ،لكن و بالرغم من هذا الاختلاف هناك نقاط إتفاق وتشابه في تحديد مفهوم الكفاءة . فمثلا من الناحية اللغوية نجد أن مفهوم الكفاءة هو :" القدرة على العمل وحسن القيام به، كما تدل على الجدارة والأهلية." (محمد بوعلاق ، 2004 ، ص،19-20).

و نجد في قاموس " **متن اللغة** " لأحمد رضا فعل " كفي ومنه كفاه الأمر كفاءة : قام به واضطلع ،فهو كاف (جمع كفاة) والكفاءة أي ما سد به الخلة (الحاجة) وبلوغ المراد". (محمد بوعلاق ، 2004 ، ص، 20).

- إذن يتضح لنا من المعاني الواردة في لسان العرب وفي متن اللغة أن كلمة الكفاءة تدل على القدرة على القيام بعمل ما، غير أن القاموس الثاني يضيف لمعنى " الكفاءة " سد حاجة وبلوغ المراد . والملاحظ أن هذه المراجع تتفق على إعطاء كلمة " كفاءة " معنى المساواة.

أما في التحديد المعجمي فنجد مثلا تعريف **معجم علوم التربية** أن الكفاءة هي : "جملة الإمكانات التي تمكن الفرد من بلوغ درجة من النجاح في التعلم أو في أداء مهام مختلفة "

وفي القاموس **الأيسكلوبيدي** (**لاروس**): إنها " مجموعة من القدرات والاستعدادات الخاصة التي تسمح لكل فرد يتكلم لغة ما بالتحكم فيها واستعمالها في مواقف حقيقية وملموسة." (محمد بوعلاق، 2004، ص، 20)

- لكن ما لاحظناه هنا أن أصحاب هذا القاموس يقرون أن الكفاءة يمكن تحديدها من خلال ملاحظة أداء الفرد في مواقف واقعية. كما تطلق هذه الصفة على كل شخص يعرف جيدا عمله، ويكون مستعدا للقيام بالوظيفة التي يمارسها بشكل جيد وكامل.

❖ **إذن وانطلاقا من المعاني الواردة في المعاجم يمكننا أن نستخلص أن:**

الكفاءة هي لفظ يدل على قدرة الفرد واستعداده للقيام بعمل معين وحسن التصرف والأداء ، وتحديد الكفاءة لا يتم إلا في الميدان ومن خلال ملاحظة أداء الفرد في مواقف واقعية. والفرد الكفء هو الفرد القادر على استثمار خبراته ومؤهلاته في ممارسة عمل معين ومحدد بشكل دقيق . وبشكل عام تقوم الكفاءة على المعارف كما يمكن أن تقوم على المهارات.

لكن إذا كانت التعاريف القاموسية السابقة تعبر عن حوصلة لمعنى الكفاءة ، فإننا لا نعتبرها قادرة على توضيح مفهوم الكفاءة في ميدان التربية والتعليم. ومن ثم يبدو لنا

أنه من الضروري الانتقال إلى بعض المعالجات المختلفة المتوفرة في الأدب التربوي للبحث في محتوياتها عن المعاني التي يعطيها هذا الأدب لمفهوم الكفاءة.

فإذا أخذنا على سبيل المثال تعريف **فيليب ميريو Philippe Meirieu (1987)** نجد أن الكفاءة هي " معرفة تحمل الفرد إلى مواقف معقدة تستدرجه نحو عملية تدبير متغيرات غير متجانسة وتسمح له بحل مشكلات لا يمكن حلها بالرجوع إلى مواقف قبلية ترتبط معرفيا بمادة دراسية معينة." (محمد بوعلاق، 2006،ص،05)

- فالكفاءة حسب هذا التعريف هي قدرة المتعلم على حل مشكلات تعليمية معقدة مرتبطة بمادة دراسية معينة .

أما تعريف **فيليب بيرنو Ph. Perrenoud (1998)** للكفاءة فهو: " قدرة عمل فاعلة لمواجهة مجال مشترك من الوضعيات التي يمكن التحكم فيها بفضل التوفر على المعارف الضرورية والقدرة على توظيفها عن دراية في الوقت المناسب، من أجل التعرف على المشاكل الحقيقية وحلها".(محمد بوعلاق، 2004، ص، 22،23)

- نلاحظ هنا أن هذا التعريف يعتبر نوعا ما شاملا فهو يعتبر الكفاءة قدرة الفرد أو المتعلم على حل جملة من الوضعيات التعليمية والتحكم فيها من خلال التوظيف الصحيح للمعارف التي تخدم تلك الوضعيات وأيضا من خلال نتاجات التعلمات السابقة أو القبلية.

❖ إذن يتضح لنا و من خلال التعاريف السابقة لمفهوم الكفاءة : أن هناك اتفاقا بين الباحثين في تحديدهم لهذا المفهوم ،حيث تلتقي التعاريف جميعها عند النقاط الأساسية التالية:

➢ الكفاءة هي القدرة على أداء عمل ضمن موقف تعليمي- تعلّمي ، فهي تشمل القدرات المرتبطة بالأداء.

- تشمل الكفاءة المعارف والمهارات ، وهذا ما سمح بوجود كفاءات معرفية وكفاءات أدائية وجميعها قابلة للاكتساب والملاحظة و القياس.
- تؤثر الكفاءات تأثيرا مباشرا في نواتج التعلم لدى التلاميذ.
- تعتمد نسبيا على الخبرات والمعارف السابقة التي لها علاقة بمادة تعليمية بعينها.
- يدل لفظ الكفاءة على قدرة الفرد وعلى استعداده للقيام بعمل معين وحسن تدبير هذا العمل بجدارة، وتحديد الكفاءة لا يتم إلا في الميدان ومن خلال ملاحظة أداء الفرد في مواقف واقعية، والفرد الكفء هو الفرد القادر على استثمار خبراته ومؤهلاته في ممارسة عمل معين ومحدد سعيا وراء تحقيق الجودة أو النوعية في العمل الذي يمارسه.
- لا ترتبط الكفاءة بمعرفة معينة، بل تتعلق بوضعية أو بمهام أو بحل مشكلات.

❖ وعليه فإن جملة القول أن الكفاءة هي عبارة عن جملة من المعارف والمهارات وحسن التواجد ضمن مواقف تعليمية معينة، وأن الكفاءة لا تتمظهر إلا من خلال أنشطة ووضعيات تعليمية معقدة أين تسمح للفرد باستثمار خبراته ومؤهلاته في حل مشكل مطروح بكل كفاءة وجدارة أي هي عبارة عن سلوكات وأداءات قابلة للملاحظة والقياس .

2- بعض المقاربات النظرية لمفهوم الكفاءة:

إن ما لاحظناه من خلال التعاريف السابقة لمفهوم الكفاءة أن هناك نقاط إتفاق أكثر من نقاط الاختلاف حول هذا المفهوم، لكن تلك الإختلافات يمكن إرجاعها إلى الاتجاه الفكري أو التيار الذي ينتمي إليه كل باحث ، وأيضا للظروف التاريخية التي أدت إلى ظهور الكفاءة والمجال الأول الذي برزت فيه. وهذا ما دفع بنا إلى إلقاء ولو نظرة وجيزة على بعض التيارات الفكرية أو المقاربات النظرية التي أعطت معنى واضحا ودقيقا للكفاءة حسب مجال التخصص أو البحث .

2-1: المقاربة التاريخية : جدال حول ظهور الكفاءة

فإذا رجعنا إلى **المقاربة التاريخية** التي كانت فيها جدالات حول ظهور هذا المفهوم، نجد أن الكفاءة مفهوم جديد ظهر في أواسط الثمانينيات من القرن العشرين في حقل التربية والتكوين والمقاولة . و التعاريف النظرية المتعددة تجعل من الكفاءة فكرة متعددة المعنى تعكس استعمالاتها الاجتماعية والعالمية.

فحسب **مارسيل ستروبانتس** ظهرت الكفاءة كإمكانية أو كموارد فردية مختفية قابلة للتطوير عن طريق التكوين أو التحويل من وضعية إلى أخرى، وفي نظر **لبوترف** Le Boterf لم تنتظر المقاولات التسعينيات من القرن العشرين لتهتم بالكفاءات ، فمنذ زمن بعيد وهي تصرف أموالا على التكوين المهني لتأهيل مستخدميها ، كماتبحث عن توظيف مؤهلين أصحاب كفاءات أو الذين لهم استعدادا لذلك. (محمد بوعلاق، 2004، ص،23)

أما الجدل الدائر حاليا حول الكفاءات فإنه يسعى إلى إعطاء مضمون جديد للكفاءات، وذلك راجع إلى المتطلبات الجديدة لتنافسية المقاولات وتطور السياقات وتنظيمات الشغل، وخصائص سوق الشغل وتطور التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال، والتقدم الحاصل في سيرورة التعلم ووظائفه المعرفية .وهي كلها أمورا لا تنحصر في المهارة وإنما تأخذ بعين الاعتبار القدرة على تدبير الوضعيات المهنية . فأن تكون صاحب كفاءة لا يعني أنك تعرف كيفية تنفيذ عملية معينة، بل المعرفة بالفعل ورد الفعل في سياق خاص، أي مواجهة المحتمل والمجهول.ثم إن الكفاءة المهنية تتحدد ليس فقط في علاقتها بالشغل وإنما في علاقتها بالتشغيلية (Employabilité) والمعرفة بالتعبئة في وضعية العمل. وحسب **آن ديتريش** ظهرت الكفاءة في مختلف الخطابات في فرنسا مثل خطابات المدراء ومدبري المقاولات ،الذين يتوخون تكييف الكفاءات

كهدف رئيسي (كفاءات- مفتاح) مع وظيفة الموارد البشرية خلال سنوات التسعينيات من القرن الماضي. ثم ظهرت كذلك في خطابات المستشارين وذوي الخبرة في المقاولات الذين بنوا أدوات لتدبير التكيف. وظهرت كذلك في خطابات الباحثين الذين ساءلوا التأثيرات الإيديولوجية والرهانات الاجتماعية التي تنطوي عليها الممارسة الجديدة لتدبير الموارد البشرية وتنظيم العمل المؤسس على فكرة الكفاءة. وهناك من الباحثين من عمل على تتبع تطور المقاولات ليصل إلى القول بنموذج جديد ولجنة تنظيمات الشغل مع الكفاءة ليقطع كليا مع نموذج التأهيل. (الحسن اللحية، 2006 ،ص،30، 31.)

- إذن من خلال تناولنا للمقاربة التاريخية يمكننا القول أن الكفاءة مفهوم ظهر أولا في مجال التكوين والمقاولة ، وكان لها معاني مختلفة باختلاف استعمالاتها الإجتماعية والعالمية . كما لا يمكننا إعتبار الكفاءة مفهوما حديث الاستعمال ، بل كان يستعمل منذ زمن بعيد لكن بمعان أخرى ضمنية كالتأهيل مثلا. فالدول كانت تبحث عن أفراد لهم استعداد وقابلية لتطوير أدائهم والقدرة على الانتقال من وضعية إلى أخرى أو من مجال إلى آخر . أي لم يكن هناك مفهوما واضحا وصريحا للكفاءة . لكن ما لاحظنا و بالانتقال إلى مفهوم الكفاءة في الوقت الحاضر أن هذا المفهوم أصبح صريحا وواضحا ، حيث أن المؤسسات والمقاولات أصبحت تبحث عن أفراد لديهم القدرة على الأداء وحسن التواجد، أي لديهم معارف ومهارات وحسن التصرف في أي وضعية من الوضعيات ، ولهم القدرة على الانتقال من مجال إلى آخر إنطلاقا من جملة المعارف والموارد، سواء كانت ذاتية أو خارجية لحل مشكل أو معالجة قضية مطروحة . وهذا ما أصبح يميز الكفاءة الحالية عما كانت عليه في السابق وخاصة قدرة الفرد على التعامل مع مختلف الوضعيات داخل وخارج العمل و هي الميزة التي لم يكن يتميز بها نظام المقاولات في السابق .

كما نرى أن الكفاءة مفهوم كثر استعماله في السنوات الأخيرة ، وهذا نظرا لتغير النظرة إلى الفرد باعتباره القوة المحركة في المجتمع .وأيضا نظرا للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي فرضت نظاما ومنحى آخر في العمل والتكوين . حيث أصبحت الدول بكل مؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية والتربوية تسعى إلى تكوين أفراد ليس لهم مؤهلات فقط ، بل أفرادا لهم معارف ومهارات ولهم القدرة على الأداء وعلى توظيف مختلف الموارد سواء في العمل أو خارجه .أي الانتقال من فكرة التأهيل التي ترتكز على المهمة La Tache ومنصب الشغل Poste de travail والآلة أكثر من تركيزها على الفرد وقدراته الذاتية ،مع عدم الاهتمام أيضا بما يمكن أن يظهر أثناء العمل من وضعيات ومشاكل غير متوقعة .كل ذلك قد يجعل الفرد المؤهل يفشل في حالة وجوده أمام وضعية جديدة لم يتعرض لها أثناء التكوين. مما دفع بمؤسسات الدولة التغيير من نظرتها للفرد ، لتنتقل بذلك إلى الكفاءات أي البحث عن موارد بشرية لها القدرة على التلاؤم مع كل وضعية عمل جديدة ، أفرادا لهم استعدادات وقدرات ومهارات مع حسن التواجد و التصرف مع مختلف الوضعيات والقدرة على التكيف مع مختلف الظروف والمستجدات.

- كما توصلنا إلى أن هناك اختلافا حول تاريخ ظهور الكفاءة . فالكفاءة كانت مرتبطة بالدرجة الأولى بالممارسات داخل المؤسسات (المقاولة) حيث أن هذه الأخيرة لم تعد في حاجة إلى أشخاص يعتمدون على القوة العضلية فقط ، ولكنها أصبحت بحاجة إلى أشخاص وموارد بشرية ذات قدرة على التلاؤم مع كل وضعية عمل جديدة لتحقيق الجودة في الإنتاج وهو ما ينطبق على مفهوم الكفاءة باعتبارها جملة من المعارف القابلة للتعبئة والتحويل والتكيف مع مختلف الظروف .

2-2: المقاربة السوسيو – تاريخية:جدال حول ظروف ظهور الكفاءة في المدرسة:

وإذا انتقلنا إلى المقاربة **السوسيو- تاريخية** للكفاءات فهي الأخرى كانت فيها جدالات حول الظروف التي فرضت الكفاءة في المدرسة. فمثلا يرى **دوكتيل De Ketele** أن المثقف في عصر النهضة كان هو الذي يعرف النصوص المؤسسة للحضارة بما فيها المؤلفات الكبرى. ولكي تكون مثقفا ينبغي دراسة النصوص والمعرفة بالشروح والتعليقات التي قام بها الأساتذة الكبار ،حتى تتمكن من التعليق على النصوص المؤسسة، وقد كان هذا التصور أساس البرامج التعليمية . وإلى جانب ذلك كان الإنسانيون يشتغلون على قوانين الطبيعة في الفيزياء والبيولوجيا والمجتمع مشكلين ما يسمى بروح العلم القائمة على التجريب والاختبار وصولا إلى القرن العشرين، حيث تضاعفت التخصصات وأصبح الإلمام بها من طرف شخص واحد من قبيل المستحيلات ، بل أصبحت بعض التخصصات تتطور بشكل سريع جدا مثل الإعلاميات . كما ينبغي أن نستحضر عوامل أخرى ساهمت في تطور العلم مثل الحربين العالميتين وغزو الفضاء وتطور المنافسة الاقتصادية عالميا،...

ولقد بدت ضرورة تنمية برامج دراسية لنقل المعارف الجديدة مما جعل السؤال المطروح هو: ما هي المعارف الضرورية الصالحة لهذه المرحلة أو تلك من التمدرس والتكوين؟ فظهر تياران مثل التايلورية التي تسعى لإدخال – في تدبير التصنيع- سيرورات عقلانية لبلوغ مستوى عال من الإنتاج بسرعة كبيرة . ثم هناك السلوكية التي تسعى إلى العقلنة المؤسسة على الملاحظة ،وما يجمع بين هذين التيارين هو تقليص التعقيد وتقسيم الأشياء إلى عناصر أكثر بساطة وإلى مراحل . لكن هاتان الحركتان ألهمتا عالم التربية عبر بيداغوجيا الأهداف ، وبالتحديد **ماجر Mager** (1962) و**بلوم** Bloom (1968-1976-1979) ومنذ ظهور الترجمة الفرنسية لمؤلف

ماجر Mager (1971) ثم مؤلفات مثل مؤلفات **هاملين** Hamelin(1980) **ودولاندشير De Landsheere** (1980) **وهينو Hainaut** (1983) أصبحت بيداغوجيا التدريس بالأهداف أو تقنيات الأهداف البيداغوجية تكتسح أوروبا . ووجب الذكر أن هذه البيداغوجيا جرت ورائها موجة من الإصلاحات المتعلقة بالبرامج التربوية والتعليمية. وإن كل من جرف لم يعد قادرا على التفكير بالمحتوى وحده، بل يجب في نظره تحديد الهدف الذي هو قدرة ممارسة على المحتوى وتحديد النتائج المرتقبة في سلوكات قابلة للملاحظة بشكل لا غموض فيه ،لأن الهدف الإجرائي هدف يدقق في شروط الإنجاز ومعايير التحكم. (الحسن اللحية، 2006،ص، 31.)

بعد هذه المرحلة دخل العالم مرحلة العولمة التي تتجسد إقتصاديا في التنافسية وشمولية السوق والشركات المتعددة الجنسيات ، وداخل المقاولات أصبح الهم السائد هو البحث عن النجاعة والمردودية والحديث عن التكيف مهيمنا. ثم إن منطق المنافسة والمردودية دفع بالمقاولات إلى خلق مصالح تهتم بالتكوين منطلقة في ذلك من تحليل المهام وصولا إلى تحديد الكفاءات المطلوبة ، وذلك ما كان سببا في ظهور مفهوم مرجع الكفاءات . قد تكون هذه المصالح المختصة في التكوين داخل المقاولات باهظة الثمن وتكلفها كثيرا من الأموال، وهو ما دفع بالمقاولات إلى إرغام المدرسة على تغيير برامجها وفق منظور كفاءاتي ، بل هناك بعض رؤساء المؤسسات من أعلنوا عن إستعدادهم الكامل لمساعدة الأنظمة التربوية على التغيير والتعاون وتحمل أعباء التكوين في نفس الإتجاه المذكور آنفا.ولهذا السبب نجم عن ضغط المقاولات الأوروبية على الإتحاد الأوروبي برنامج UNICAP المعروف باسم Unité Capitalisables الذي يسعى إلى تحديد مراجع الكفاءات لكل عينة مهنية وتوزيع

التكوين في وحدات وكل وحدة تحدد بمدخلات (كفاءات مكتسبة سابقا من طرف التلميذ والطالب ومتحكم فيها) وبمخرجاتها (كفاءات ينبغي التحكم فيها) . وكان لهذا البرنامج تأثيرا على التعليم التقني والتكوين المهني ومؤسسات التكوين المستمر . فمراجع الكفاءات تتطلب كفاءات عرضانية، أي كفاءات تمارس في وضعيات مختلفة ومتنوعة. (ouvrages collectif , 2000,p,86,87).

- وعليه من خلال هذه المقاربة خرجنا بنتيجة مفادها أن التطور السريع الحاصل في مختلف التخصصات أصبح ضرورة حتمية للبحث عن نصوص وبرامج مسايرة لهذا التطور ، حيث لم يعد يعنى بالمعارف والمهارات فقط خاصة في المجال الاقتصادي ، وإنما كيفية توظيف وتعبئة وإدماج تلك المعارف في مختلف الوضعيات. حيث لو رجعنا إلى وجهة نظر **دوكتيل** نجد أنه يوحي بفكرة إدماج مختلف المعارف والمهارات القبلية التي تعتبر أساسية وليس مجرد تجميع لتلك المعارف .و هنا نجده يتحدث عن الكفاءات لأنه من بين الخصائص المميزة للكفاءات خاصية الإدماج و هي كيفية دمج الفرد لمختلف معارفه ومكتسباته القبلية في حل مشكل أو وضعية معينة.

كما أن التطور الحاصل في مختلف التخصصات قد أدى أيضا إلى تغيير في كيفية تسيير المؤسسات الصناعية ، حيث نجد بروز تيارين أو حركتين لكل منها وجهة نظر في كيفية تسيير الأمور الإنتاجية والمهنية .فالحركة **التايلورية** التي تنسب إلى الأمريكي **تايلور Taylor** الذي اكتشف طرق وميكانيزمات جديدة في تنظيم العمل داخل المقاولة الأمريكية، تميزت بالتنظيم العلمي والعقلاني للعمل. بمعنى أن هناك خبراء تقنيين ومهندسين يقومون بالتخطيط والتنظير ، وبالمقابل هناك عمال يقومون بالتنفيذ الميكانيكي أو الآلي لما يتلقونه من توجيهات وتعليمات ،وهو ما أطلق عليه **تايلور** "بالتقسيم الأفقي للعمل " وهنا نلاحظ أن هناك إجحاف في حق الفرد العامل

، حيث من جهة يحرم هذا الفرد من الحرية والنظرة الشمولية للمهمة . ومن جهة أخرى يفقده روح المبادرة والنقد والتفكير والإبداع في عمله ،كونه يقوم بالتنفيذ الآلي للمهام والتعليمات التي يتلقاها من أصحاب التخطيط والتنظير . أما الحركة الثانية والتي لا تبتعد كثيرا في أفكارها عن الحركة الأولى هي الحركة **السلوكية أو التيار السلوكي** الذي يقوم هو الآخر على معادلة مثير – إستجابة وهو تيار آخر يقضي على روح المبادرة والقدرات والمواهب أو قدرة الفرد على الخلق والإبداع في عمله . لكن ما لاحظناه هنا أن أفكار التايلورية والسلوكية انتقلت من عالم الشغل إلى عالم التربية ، أين أصبحت البرامج تسير وفق بيداغوجيا الأهداف المستنبطة من هاتان الحركتان. حيث لم يعد يعنى بالمحتوى فقط ، وإنما بالهدف المراد الوصول إليه وهو القدرة على كيفية ممارسة ذلك المحتوى ، وما هي النتائج المترتبة عليه والتي يمكن قياسها من خلال سلوكات قابلة للملاحظة أي مثير استجابة.

و مع دخول العولمة عالم الاقتصاد لمسنا أن هناك تغييرا في الأفكار وفي طريقة العمل ،حيث أصبح من الضروري البحث عن النجاعة والمردودية ، مما أدى إلى ظهور مفهوم جديد لتحقيق النوعية والجودة في الإنتاج ،و الذي إنتقل بدوره إلى المجال التعليمي وهذا المفهوم هو **الكفاءات** . أين يكون للفرد القدرة على تعبئة مجموعة من الموارد (معارف ، مهارات و مواقف) في حل جملة من الوضعيات .وبالتالي هناك منحى جديد ، وهو الانتقال من فكرة السلوكات القابلة للملاحظة والقياس كما في التيار السلوكي إلى القدرة على تشغيل وتوظيف تلك القدرات والمعارف ضمن وضعيات معينة وغير متوقعة ، أي التكيف مع مختلف الوضعيات ،والتي تعتبر من الخصائص المميزة للكفاءة ،أين يكون للفرد القدرة على التكيف مع الوضعيات اللامتوقعة مع خلق لدى الفرد روح المبادرة (pouvoir anticiper) . بمعنى أن

يكون الفرد قادرا على إبداء الرأي ونقد النتائج التي توصل إليها، وهذا ما لم يكن يتميز به التيار التايلوري والسلوكي اللذان يقضيان على روح المبادرة والنقد والإبداع لدى الفرد ، ويصبح كآلة مطبقة للأوامر والتعليمات فقط .

- كما اتضح لنا من خلال تحليلنا لهذه المقاربة أن عالم الشغل كان وراء ظهور المقاربة بالكفاءات من خلال الخبراء العاملين في المقاولات. حيث استمد المختصون المفاهيم النظرية من نموذج تايلور.لكن مع التطور التكنولوجي والاقتصادي أصبح من الضروري التغيير في المناهج وطريقة العمل ،فجاء مفهوم الكفاءة كطريقة جديدة للتعامل مع مختلف الوضعيات وكيفية تدبير الموارد البشرية ، كما تغيرت طبيعة النظرة إلى الفرد من مجرد مطبق للأوامر إلى فرد له قدرات واستعدادات يدمجها في وضعيات مغايرة، أي فرد له القدرة على التكيف والإبداع والمبادرة .ومنها وانطلاقا من عالم الشغل إنتقل هذا المفهوم إلى المدارس ، التي هي الأخرى أصبحت تبحث عن الأداء وحسن التصرف من خلال مكتسبات ومعارف قبلية وجملة من الموارد التي يوظفها المتعلم في حل مشكل مطروح أو وضعية معينة.

2-3: التوجهات والأسس الفلسفية للكفاءات:

أما إذا انتقلنا إلى **التوجهات** و **الأسس الفلسفية** للكفاءات ، نجد أن الباحث **هوبرت** (**Hubert**) يشير إلى أن النظام التربوي الحقيقي هو ذلك النظام الذي ينحدر من العقيدة الفلسفية التي تحدد الطبيعة والاتجاه التربوي. وبالتالي فإن مبادئ الفلسفة تكمن أهميتها في اعتبارها قاعدة انطلاق للتربية واعتبار التربية ميدان تنفيذ للنظريات الفلسفية، بحيث تسير كل من الفلسفة والتربية لخدمة الإنسان .ويؤدي هذا التوضيح بين مهام الفلسفة ومهام التربية إلى إبراز وظيفة فلسفة التربية ، التي تساعد على التفكير في المفاهيم والمشكلات التربوية بصورة دقيقة ومنتظمة، ما يؤدي إلى إدراك السياسات والقرارات التربوية وكيفية تحقيقها. فإذا إنتقلنا إلى عصر

النهضة في التربية في القرن التاسع عشر نجده يتميز بظهور مميزات عامة خاصة بالحركة العلمية في التربية ، ما أدى بعدد من المهتمين بالتربية إلى تركيز اهتمامهم حول القدرات العقلية للمتعلم وعلاقتها بالأعمال اليدوية. ومن أهم هؤلاء المهتمين **بستالوزي** (**Pestalozzi /1746-1827**) الذي كان يؤكد على اقتران العمل العقلي بالعمل اليدوي، حيث جعل من الملاحظة المباشرة لمادة درس العلوم في المدارس الابتدائية الغاية الرئيسية في التعلم الابتدائي.

أما **سبنسر** (**Spencer / 1820-1903**) فنجده يدعم أفكار **روسو و بستالوزي**، وذلك بإعطائه مكانة هامة للعلوم في تربية المتعلم . فهو يرى أن العلوم تساعد المتعلم على تطوير القدرات العقلية والجسمية وعلى التكيف مع البيئة ، كما يرى هذا العالم أن خير أنواع المعرفة هي المعرفة العلمية ،التي تمكن الفرد من المحافظة على حياته وتكسبه المناعة والقوة وتعرفه بالطرق الصحيحة ،وعلى المعلم أن يستعمل هذه التربية لتحقيق اللياقة العقلية والجسمية معا. كما يجب أن تكون طرق التدريس استقرائية، وعلى المتعلم أن يلاحظ ويكتشف بنفسه. (فاطمة الزهراء بوكرمة، 2008، ص، 59،60)

ونتيجة للتغيرات التي حدثت في المجال الصناعي والسياسي والاقتصادي وكذا التربوي، ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين فلسفات تربوية غلبت عليها النزعة العلمية الواقعية، ومنها الفلسفة **البرجماتية** التي استمدت أصولها من الفلسفة الواقعية التي كان لها تأثير هام في الميدان التربوي، لأن هذه الفلسفة تمتاز بالتطور المستمر في جميع مظاهر الحياة. وقد أخذت الفلسفة البرجماتية عدة تسميات وذلك حسب مجال التوظيف، حيث سميت **بالأداتية** (**Instrumentaliste**) ، لنظرتها إلى المعرفة والخبرة للأشياء بصورة تعبر على أنها وسائل وأدوات لتحقيق غايات نافعة ،

ولحكمها على قيمة الأشياء بقيمة الغايات التي تحققها وبمقدار النفع الذي تجلبه للفرد والمجتمع. وسميت كذلك **بالفلسفة التجريبية** (**Expérimentaliste**) لتأكيدها على الطرق التجريبية في كسب المعرفة وتحقيق الفروض لحل المشاكل التي يصادفها الفرد والمجتمع، ذلك لأنه " لا قيمة لأية معرفة لا يمكن استعمالها وتطبيقها في الحياة الحاضرة والمستقبلية ".

وهكذا أصبح الفلاسفة التربويون من الناحية النظرية يعتمدون أسس الفلسفة البرجماتية لإظهار المبادئ التي يؤمنون بها ، والتي لها علاقة بالطبيعة وطبيعة الإنسان وبطبيعة المعرفة الإنسانية وطرق تكوينها واكتسابها. أما من الناحية التطبيقية، فنجد هؤلاء يعتمدون الأفكار والمبادئ التي لها علاقة بالأهداف التربوية وبالمناهج الدراسية وبطرق التدريس وبالتنظيم المدرسي، حيث تعتبر كل من الأسس والمبادئ والأفكار الفلسفية اقتراحات يقدمها الفيلسوف التربوي لحل المشاكل التربوية العلمية . وفي المجال التربوي يعتبر **جون ديوي** (**John Dewey**) أبرز مفكر ومصلح تربوي ،فقد قدم اقتراحات وأفكارا فلسفية مهمة ساعدت على تطوير التربية العلمية وإصلاحها في القرن العشرين. حيث إعتمد في فلسفته التربوية على جملة من المبادئ التي كان لها أثرا بالغا في مجال التربية والتعليم ، ومن بين هذه المبادئ أنه يؤمن **بالتغيير** حيث يرى أن التطور يحدث ليس في الكائنات الحية فحسب بل في الوجود كله، وأن التغير هو من طبيعة الوجود ، وأن التغير لا يتناول الظواهر المادية فحسب بل وأسلوب حياة الإنسان ذاتها. فالعلم وما أنتجه من تطور في الصناعة والزراعة والصحة والمواصلات بدل حياة الإنسان ، وأوجد مشاكل اجتماعية وسياسية وأخلاقية تدخل في كل ناحية من نواحي حياة الإنسان من البيت إلى المجتمع إلى الدولة . والتغيرات التي تحدث في الكون هي تغيرات نوعية وكمية معا، كما أنها تغيرات ذات نتائج متجددة وغير ثابتة ولا مستقرة. فالكون في نظر ديوي هو ما يقع

ضمن اختبارات الإنسان، وهذا هو المهم عمليا. فهو لا يبحث ولا يعالج القضايا الماورائية أو الغيبية التي لا تتصل باختبارات الإنسان، ولذلك فالكون هو ما يتوصل إليه عقل وذكاء الإنسان بالاختبار وهو ليس بالكون الثابث طبعا، بل هو كون متغير ومتسع باتساع الوسائل والاكتشافات العلمية ، والإنسان هو جزء من هذا الكون يتفاعل معه ويتصل به عن طريق الاختبار. إن هذا التفاعل الذي يقع بين الإنسان(جسدا ، فكرا وعاطفة) من جهة وبين المحيط من جهة أخرى هو ما يكون الاختبار. فبالاختبار يستطيع الإنسان أن يتفاعل مع قوة المحيط فيتعاون معها أو يغير مجراها. (فاطمة الزهراء بوكرمة، 2008، ص، 61،63)

ومن بين المبادئ الأخرى التي يؤمن بها جون ديوي نجد **عامل الخبرة** .إن عملية التربية كعملية تجديد لبناء الخبرة، خبرة الفرد وخبرة المجتمع تعتبر الميزة الأساسية لفلسفة جون ديوي وأتباعه ، وهي المعبرة عن روح التربية الحديثة وجوهرها.، فهي أي نظرية تجديد بناء الخبرة تتماشى مع نظرية النمو الطبيعي والاجتماعي . فالتربية حسب هذه النظرية عبارة عن سلسلة اختبارات يؤدي كل اختبار إلى اختبار آخر. فتتسع ارتباطات واتصالات الفرد بالمحيط ،وتنمو ثروة المعاني عند الفرد. معاني الأشياء والظواهر الطبيعية التي يختبرها الإنسان. وبذلك يكتسب الفرد سيطرة وقوة في توجيه الأمور، فيكيف ما حوله بالنسبة لاحتياجاته كما أنه يتكيف هو وفق ما يحيط به. (محمود فاضل الجمالي، 1980،ص، 203،204)

- إذن من خلال تناولنا لهذه التوجهات والأفكار الفلسفية نجد أن هناك توجها جديدا حول مفهوم الكفاءة وكيفية تطبيقها ضمن المناهج وطرق التدريس .حيث أن العالم **بستالوتزي Pestalozzi** يشير إلى أن التعلم هو اقتران العمل العقلي بالعمل اليدوي ، أي الممارسة الفعلية للأفكار وذلك بغاية زيادة القوى العقلية

للمتعلم وتنميتها ،خاصة في المراحل الأولى من التعليم. ولو رجعنا إلى فلسفته التربوية نجده أن أول من طبق الطريقة الفعالة في التدريس ، حيث كان يحمل الأطفال على المشاهدة والعمل والتجربة والاكتشاف. وبالتالي فهو واضع الطريقة الكشفية ، أي أن الطفل يتعلم عن طريق الاكتشاف الذاتي والسؤال . إن هذه الطريقة تجعل الطفل أكثر علاقة مع الواقع واكتشاف الحقائق بمفرده التي تساعده على ترسيخها في ذاكرته ،وهذه العلاقة تعمل على تنمية قوى الطفل سواء الجسدية أو الفكرية . وهنا نجد أن بستالوتزي يتفق في أفكاره مع **روسو Rousseau**في حق الطفل في الحرية والتعلم بمفرده من خلال ما يحيط به من مثيرات ، لكن لا بد من وجود موجه ومرشد يساعد الطفل على اكتشاف تلك الحقائق ألا وهو المعلم. وبالمقابل فإننا نجد **سبنسر Spencer** أيضا من رواد النهضة العلمية في التربية و يدعم أفكار روسو وبستالوتزي في تعلم العلوم من خلال الاكتشاف والتجربة ، لأن ذلك يساعد الطفل على اكتشاف أساليب البحث وكيفية التوصل إلى الحقائق والنتائج وهذا بدوره يساعد على النمو الفكري والجسدي للمتعلم.

- وبناء على هذا، فإن التربية العلمية عند بستالوتزي وسبنسر تأخذ أهمية كبرى في تعلم المتعلم عن طريق الممارسة والملاحظة المباشرة والاكتشاف الذاتي ،قصد إكسابه المعرفة العلمية التي تمكنه من إدراك ما يحيط به من خلال النمو العقلي والجسمي. مما يستلزم في التعلم اقتران العقلي باليدوي وإتباع الطريقة العلمية الملائمة في البحث والمعرفة ،قصد تحقيق نوع من استقلالية المتعلم ومحاولة التكيف مع المحيط ،إضافة إلى توفير اللياقة العقلية والجسمية .

وزيادة على أفكار بستالوتزي وسبنسر ظهرت فلسفات أخرى كان لها طابعا علميا واقعيا، أي تعتمد على التجربة العلمية المستمدة من الواقع. ومن بين هذه الفلسفات نجد الفلسفة البراجماتية أو النفعية التي كان لها أثرا في مجال التربية. ولقد كان لهذه

الفلسفة تسميات مختلفة حسب الغرض أو الهدف من وراء استعمالها ، فقد يطلق عليها بالأداتية لاعتمادها على وسائل وأدوات تسمح بالوصول إلى غايات لها فائدة في المجال التربوي من جهة ومن جهة أخرى فإن الحكم على الأشياء يكون بالرجوع إلى الغاية أو الفائدة التي تعود على الفرد والمجتمع . كما تسمى بالتجريبية لاعتمادها على التجربة في الوصول إلى الحقائق والحصول إلى المعارف العلمية والتحقق من الفرضيات .

ويعتبر **جون ديوي John Dewey** من الفلاسفة التربويين الذين قدموا الكثير في مجال التربية . حيث أن جون ديوي يؤمن **بالتغيير** المستمر غير الثابت الذي يمس مختلف مجالات الحياة والكون ،وبما أن الإنسان جزء من هذا الكون فإن أي تغير يحدث في الكون يؤثر على الإنسان. كما أن جون ديوي يبحث في الأمور التي لها علاقة بالإنسان وواقعه وليس في الأمور الغيبية .فهو يؤمن بتجارب الإنسان وخبراته اليومية التي تساعد على إحداث التغيير في هذا الكون ، من خلال أفكاره المتجددة وتجاربه المستمرة ، وهذا ما يجعل الكون متغيرا غير ثابت . كما أن عامل **الخبرة** يعتبر عند حون ديوي من بين العوامل المهمة في اكتساب المعلومات واكتشاف الحقائق ،وهو ما لم يكن متوفرا في التربية التقليدية، التي كانت تعطي الطفل منهاجا دراسيا قد أعده الراشدون ، و على الطفل أن يتلقى هذا المنهاج بدون سؤال أو اعتراض. مما لا يسمح للطفل للقيام باختبارات حية تلاءم حاجاته وميوله. على عكس التربية الحديثة التي تؤكد على اختبارات الطفل المتصلة بحياته اليومية وميولاته واحتياجاته. أي أن مساهمة الطفل مساهمة مقصودة في اختيار مواد المنهاج وأساليب العمل والتنفيذ ،وذلك طبعا بمساهمة فعالة من المعلم في توجيه الخبرات وإرشاد التلاميذ ومساعدتهم على حل مشاكلهم.

4-2: الأسس النفسية – التطبيقية للكفاءات:

وفيما يخص الأسس **النفسية- التطبيقية** لمفهوم الكفاءات نجد أن هذه الأسس تعتبر امتدادا للأسس الفلسفية التي بينت أن البنية المعرفية توجد في صورة ملكة على مستوى كل فرد متعلم يحضر إلى المدرسة ، وهذه الملكة هي التي تجرى عليها التغيرات عبر عدة مراحل من مراحل النمو ، ما يسهل على المتعلم عملية ترسيخ وتخزين المعلومات ، لهذا نجد أن المعرفة المتكونة نقطة انطلاق لكل تعلم جديد. فإذا كانت الروح العلمية في مجال التربية يقصد بها الروح المادية التي تسمح للمتعلم بالممارسة الذاتية قصد التعلم، نجد علم النفس و التحليل النفسي التطبيقي يهتم بالفرد ذاته ليصل إلى نتائج ملموسة في فائدة البشرية. أي يهتم التحليل النفسي التطبيقي بالنتائج التي لها تأثيرا على المجال التربوي والبيداغوجي، حيث أصبحت هذه المجالات تستفيد من نتائج علم النفس، خاصة البعد التطبيقي المتعلق بالمجال المعرفي والوجداني والنفس-حركي ، كما أصبحت هذه التصورات أساس تكوين شخصية الفرد المتعلم الذي أصبح نموها وتطورها يستلزم اكتساب كفاءات عن طريق التعلم الذاتي.

وفي هذا المجال يعتبر كل من **بياجيه** (**Piaget**) **وبرونر** (**Bruner**) **وجانيه** (**Gagné**) من أهم العلماء الذين ركزوا في دراستهم للشخصية على الجانب المعرفي، ذلك عكس ما توصلت إليه المدرسة الجشطالتية التي اهتمت بالإدراك والاستبصار لكونهما عمليتين ذهنيتين يتم من خلالهما التعلم عن طريق أسلوب حل المشكل، وكذلك عكس ما توصل إليه أصحاب القياس النفسي الذين صنفوا العمليات الذهنية والمعرفية في صورة سلوك.

وعليه فإذا أخذنا **جان بياجيه** (**Jean Piaget**) مثلا نجد أن اهتماماته انصبت على دراسة عملية تعلم الأطفال ومراحل نموهم العقلي، وكان لأعماله في الابستيمولوجية

الوراثية أثرا على الأبحاث التربوية، حيث توصل هذا المختص إلى إظهار أن سلوك الفرد لا ينتج عن الملاحظة البسيطة للمحيط كما يظن البعض ،وبدون الممارسة التي تساعد على البناء المعرفي ،وإنما ينتج عن البنية المعرفية في كل مرحلة من مراحل نموه ،حيث قسم هذه المراحل إلى أربعة مراحل هي: المرحلة الحس- حركية ،مرحلة ما قبل العمليات، مرحلة العمليات المحسوسة و مرحلة العمليات المجردة ولكل مرحلة خصائصها ومتطلباتها الفكرية . (فاطمة الزهراء بوكرمة، 2008، ص،90-91)

أما العالم **برونر (Jérôme Bruner)** فهو يعتبر عملية التعلم نموا عقليا يزيد في قدرة المتعلم على إيجاد تكامل بين المعلومات السابقة والمعلومات الجديدة . أما فيما يخص النمو العقلي فيتطلب عنده تزايد الاستقلال عن التأثير المباشر للمثيرات، باستعمال العمليات المعرفية الوسيطة التي تمكن المتعلم من معالجة المثيرات على المستوى الرمزي .كما يعطي برونر أهمية للتطور الوجداني للفرد المتعلم فيما يخص عمليتي التعلم والنمو العقلي. لهذا نجد تصور برونر يرتكز أساسا على تطور العقل كما هو الأمر بالنسبة لحل المشكل ،ويرى أنه ليس من السهل جدا التوصل إلى إمكانية العزل بين التطور الذهني والتطور الوجداني ، لأن التفكير لا يميز بين سمات الرأس والقلب. وقد حدد برونر عددا من المبادئ التي تتطلبها عملية التعلم ولا بد من احترامها .منها سيرورة التعلم حيث يكون هناك تتابع في المعلومات أو المعرفة وتكاملها ،أيضا تعلم أنماط معرفة الأمور التي تتمثل في التعلم عن طريق الممارسة الذاتية والتعلم الصوري الذي تستخدم فيه الحواس للوصول إلى تصور ما يراد تعلمه. كذلك التعلم بالاكتشاف والمقصود به إعادة تنظيم محددات الموقف- المشكل ، أو بمعنى آخر إعادة تنظيم موقف التعلم في صورة أو نموذج إدراكي أو في صورة علاقات جديدة

،تشكل شبكة تصورية للمفهوم انطلاقا من العناصر التي لها علاقة به أو بموقف التعلم. (فاطمة الزهراء بوكرمة، 2008، ص،90-91)

- من خلال تعرضنا لهذه المقاربة توصلنا إلى أن مجال إهتمام علم النفس هو الفرد وكيفية تكوين شخصية سوية لها القدرة على التعلم الذاتي . حيث نجد أن مختلف العلوم ومنها العلوم التربوية تستفيد من النتائج المتوصل إليها في أبحاث علم النفس وتطبيقها في المجال التعليمي ،كنظريات التعلم مثلا التي تفيد المعلم في كيفية بناء وحدة تعليمية وطرق ووسائل التعلم المناسبة في كل مرحلة تعليمية وغيرها . أي أن مختلف المجالات تستعين بعلم النفس ونظرياته وتطبيقها في العملية التعليمية - التعلمية.

ومن علماء النفس نجد **جان بياجيه** صاحب النظرية البنائية التي أعطت الأولوية للفرد أو الذات المتعلمة على حساب موضوع المعرفة. حيث يرى هذا العالم أن اكتساب المعرفة أو المعلومات لا تقدم إلى الفرد أو تلقن له، وإنما الفرد هو الذي يبحث عن تلك المعلومة ويتوصل إليها ، من خلال البحث والتجريب ضمن وضعيات وسياقات مختلفة . و يمكننا تدعيم ذلك بقول بياجيه:" خمسون عاما من الخبرة علمتنا أنه لا وجود لمعرفة تنبثق من ملاحظة بسيطة بدون بناء يرتكز على نشاط الفرد، ولا يوجد عند الإنسان بنية معرفية أولية أو فطرية، فوظيفة الذكاء لوحدها وراثية ولا يمكن للبنيات المعرفية أن تتشكل إلا من خلال تنظيم أنشطة تطبق على الأشياء.(Laurent Talbot, 2009 , p, 23).

كما يمكننا أن نعتبر **برونر Bruner** من علماء النفس الذي دعموا نظريات التعلم المعرفية ،حيث يؤكد على دور المتغيرات النمائية في التعلم وتطبيقاتها في عملية التعليم. وقد ركز في بادئ الأمر على النمو العقلي للفرد ، والذي يتضمن قدرة الفرد على التحدث إلى الذات أو إلى الآخرين باستعمال الكلمات و الرموز. كما أن

النمو العقلي يزداد من خلال التفاعل المنظم بين المعلم والمتعلم ، وأيضا من خلال أسلوب حل المشكل الذي يعتبر بمثابة نشاط عقلي يساعد على النمو العقلي المعرفي للفرد .

وبهذا نتوصل إلى أن لعملية التعلم بالاكتشاف أهمية كبرى في المجال التربوي، ذلك لأن المتعلم عندما يسعى وراء اكتشاف الظواهر الطبيعية يقوم بالممارسة الذاتية للقوانين والمفاهيم والحقائق العلمية ، وما يربطها من علاقات فتبقى المعارف راسخة بذاكرته لمدة أطول ،وهذا ما تسعى إلى تحقيقه بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات ، عكس المعلومات العلمية التي يكون قد حفظها عن ظهر قلب ويسترجعها للضرورة أو للامتحان، فسرعان ما ينساها لأنها لم تستوعب و لم تبن بطريقة صحيحة ،وهذا ما كان معمول به سابقا في بيداغوجيا الأهداف.

- وعليه يمكن أن نستنتج أن هذه المقاربات النظرية وغيرها من المقاربات الأخرى كالمقاربة الأرغونومية والمقاربة اللسانية والتدبيرية وسوسيولوجيا الشغل،،،، كلها مقاربات تناولت مفهوم الكفاءة وأصبحت تبحث عن النوعية في الأداء . فمجال ظهور الكفاءة كان أولا في مجال المقاولة أين رأى أصحاب العمل و المسيرين له أنه لا بد من تغيير سياسة العمل لتحقيق الجودة والنوعية في العمل ،فانتقلوا من فكرة التأهيل إلى فكرة الكفاءة ،هذه الأخيرة التي تضم مختلف الأداءات والمهارات مع حسن التواجد في كل وضعية مهما كانت طبيعتها ومواجهة أي مشكل غير متوقع ، أي البحث عن الإبداع في العمل مع روح النقد والمبادرة وهو ما لم يكن موجودا في السياسات السابقة . ثم إنتقل هذا المفهوم من عالم الشغل (المقاولة) إلى المدرسة التي هي الأخرى أرادت تكوين وإعطاء أفراد لهم القدرة على مواجهة المشكلات التعليمية ، وبناء تعلّماتهم بأنفسهم مع وجود روح النقد أيضا والمبادرة

والاستفسارات ولما لا الإبداع في العمل . أي يصبح لنا أفرادا فعالين قادرين على مواجهة مختلف الوضعيات سواء داخل الصف الدراسي أو في الحياة العامة ككل وهذا من بين الأسباب التي أدت بالمنظومة التربوية الجزائرية إلى التخلي عن التعليم بالأهداف والإنتقال إلى التعليم بالكفاءات .

3- دواعي تبني المجتمع الجزائري للمقاربة بالكفاءات داخل النظام التربوي :

وعليه ودائما في نفس السياق أي أسباب التخلي عن التعليم بالأهداف ،يمكننا إعطاء دواعي تبني المجتمع الجزائري للمقاربة بالكفاءات داخل النظام التربوي. حيث من بين هذه الدواعي نجد **الدواعي الفلسفية- السياسية** و التي ويقصد به الإصلاح الجديد الذي تم في ضوئه مراجعة برامج التعليم في بلادنا وذلك قصد بناء مناهج جديدة ومتكاملة تستجيب للشروط والمتطلبات العلمية الراهنة التي يقتضيها بناء المناهج التربوية. كذلك العمل على إنجاح المتعلم في الحياة وتأهيله للتوافق مع محيطه ، وذلك في كل فترات ومراحل تربيته وتكوينه وذلك بفضل ما يكتسبه من كفاءات ضرورية لإلحاق النجاح والتوافق. (فاطمة الزهراء بوكرمة، 2008، ص،61)

أما الدواعي الأخرى فهي **الدواعي العلمية- البيداغوجية** و التي ترتكز على الارتقاء بالمتعلم وذلك بجعله يستند إلى نظام متكامل في المعارف والانجازات والمهارات المنظمة ضمن وضعيات تعليمية، تجعل المتعلم في صلب التعلم، ولن يحدث ذلك إلا في إطار بيداغوجيا فعالة تعتبر " المقاربة بالكفاءات " أوضح معبر عنها، وذلك لأنها تحلل الوضعية التعليمية – التعلمية إلى مجموعة من الوضعيات الفرعية وتبنيها وفق منظور إيجابية المتعلم . وبهدف إدماج المتعلم كفاعل أساسي في بناء التعلمات تم ترجيح مجموعة من المبادئ البيداغوجية منها إعتبار محورية المتعلم بحيث يكون فاعلا أساسيا في بناء المعرفة والتعلمات ، مما يدعو إلى استحضار جانب التعلم الذاتي في كل الأنشطة. واعتبارا لهذا المنطق كان لا بد من بناء كل المناشط

البيداغوجية على فاعلية المتعلم من خلال التركيز على سمات شخصيته من قدرات عقلية (التفكير، الإدراك، التذكر، الاستدلال،...) ومميزات وجدانية (الانفعال، العاطفة،...) وخاصيات سيكو – حركية. كذلك توفير فضاء للتعلم الذاتي بفتح المجال أمام المتعلم لكي يوظف إمكانياته وقدراته للتعلم، ولا يتأتى له ذلك إلا عن طريق بناء وضعيات تعليمية تحفزه على التفاعل مع محيطه تفاعلا إيجابيا.أيضا توفير الشروط المادية والتربوية للتعلم الذاتي من خلال مختلف الوسائط والطرائق التي تتيح فرص التعلم الذاتي. (عبد السلام مصطفى، 2001، ص،111)

- ومنه فما نقصد بالدواعي هي مختلف الأسباب والاحتياجات التي دعت إلى ضرورة تغيير نظام التعليم ، من خلال إدخال تعديلات في بناء البرامج ووضع مناهج جديدة تساعد الفرد المتعلم على الاستجابة والتأقلم مع مختلف مستجدات الحياة ومتطلباتها ، وذلك بتكوين الفرد تكوينا عمليا يراعى فيه مختلف مراحل نموه ، وما تتطلبه كل مرحلة من احتياجات وقدرات. كما أن هذه الدواعي تسعى إلى خلق فرد قابل للتعلم بمفرده ، أي بناء تعلماته من خلال جملة من المعارف والانجازات وكذا المهارات التي يقوم بتوظيفها وتعبئتها ضمن وضعيات تعليمية – تعلّمية . وهذا ما تؤكد عليه النظرية البنائية التي ترى أنه لا بد على الفرد المتعلم أن يقوم ببناء تعلماته بنفسه من خلال خبراته السابقة بعيدا عن التلقين .لكن نرى أنه بالرغم من ذلك لا يستطيع الفرد القيام بذلك بمفرد دون وجود توجيه من قبل المعلم أو شخص راشد أكبر خبرة منه ، لكي تكون تعلماته مبنية على قواعد وأسس علمية صحيحة ، وذلك من خلال التفاعل بين الفرد المتعلم وشخص راشد وهذا ما تؤكده نظرية **فيجوتسكي** الذي يؤكد على ضرورة التفاعل الاجتماعي عكس بياجيه الذي يرى أن التعلم يحدث من قبل الفرد المتعلم فقط.

- وعليه فإن جملة هذه الدواعي تعتبر كأسباب رئيسية أدت بالمسؤولين سواء في مجال الشغل (المقاولة) أو التعليم إلى التغيير من السياسة المتبعة في العمل ، نظرا لعدم نجاعتها سواء من حيث الكمية أو النوعية ،لأنه لم يعد يبحث في الكم و فقط وإنما أيضا في نوعية العمل والأفراد. فالعمل وفق الكفاءات يخلق لدينا أفرادا مسؤولين لديهم القدرة على مواجهة مختلف الوضعيات والمشكلات، مهما كانت درجة صعوبتها ليس فقط في مجال التخصص وإنما في مختلف مجالات الحياة ،وتكون لهم القدرة على الإبداع مع وجود روح المبادرة والنقد. لكن لا يمكننا حصر الأسباب في هذه الدواعي فقط لأنه هناك أسبابا عديدة أدت إلى تنبني هذا النوع من النظام خاصة في مجال التعليم :كالإحساس العام بعدم جدوى الشكل التقليدي النظري لبرامج الإعداد لأنها تهمل الأداء والدوافع ، مما يؤدي إلى الانفصال بين ما يتم تعلمه وبين الأداء والممارسة في عالم الواقع وميدان العمل، مما يشعر المتعلم بنقص في قدرته على الأداء. أيضا ترجمة النظريات والمعلومات إلى قدرات وكفاءات يجب الإهتمام بها في البرنامج التعليمي. زيادة على الأخذ بمبدأ التدريب والإعداد المستمر ، لرفع مستوى أداء الفرد وتزويده بما يستجد من مهارات وكفاءات في ضوء تطور دوره ومهامه مع الاتجاهات الحديثة في العالم. وكذا الاستناد إلى الحاجات المهنية للفرد المتعلم، وإمكانية تحديد هذه الحاجات من خلال تحليل المهام و المطالب والأدوار المنوط أداؤها بعد تخرجه. وغيرها من الأسباب الأخرى.

خلاصة:

يعد مفهوم الكفاءة من المفاهيم التي ظهرت في أغلب التخصصات حيث انتقل هذا المفهوم من مجال المقاولة والشغل إلى مجال التربية والتعليم . وليس من السهل تحديد مفهوم الكفاءة لأنها تعد من بين المفاهيم المجردة ، فهي ليست سلوكا قابلا للقياس مباشرة وإنما هي سلوك مركب لا يظهر إلا في سياق نشاط من النشاطات التي يقوم بها الفرد في وضعية من الوضعيات . كما أن الحكم على وجودها أو عدم وجودها لن يكون ممكنا إلا من خلال ملاحظة الأفعال والنشاطات والنتائج التي يحققها الفرد في زمن وفي مكان وفي موقف معين ، و هذا ما جعل للكفاءة معان ودلالات مختلفة وذلك على اختلاف التوجهات والتيارات الفكرية .وبالرغم من ذلك فإن العمل وفق المقاربة بالكفاءات يعتبر نموذجا فعالا في تطوير العملية التعليمية – التعلّمية ، وهذا بعد أن أظهرت بيداغوجيا الأهداف عدم فعاليتها في تكوين أفراد لهم كفاءات ومهارات تساعدهم على مواجهة المشكلات وحل مختلف الوضعيات. زيادة على التطور السريع والتكنولوجيات الحديثة التي كان لها دورا في بروز أو البحث عن أساليب أكثر نجاعة وفعالية في مجال الشغل والتعليم.

وعليه فإن التدريس بالكفاءات يمكن اعتباره توجها جديدا يرمي إلى الارتقاء بالمتعلم إلى أسمى درجات التفكير والتربية والتكوين . فالمقاربة بالكفاءات تستند إلى نظام متكامل من المعارف والمهارات والأداءات التي تسمح للمتعلم ضمن وضعية تعليمية – تعلمية إمكانية تحقيق إنجازات مهمة ودقيقة .

المراجع المعتمد عليها :

1- الحسن اللحية، الكفايات في علوم لتربية – بناء كفاية- إفريقيا الشرق، المغرب ، 2006.
2- عبد السلام مصطفى، الإتجاهات الحديثة في تدريس العلوم، دار الفكر العربي، مصر، 2001.
3- فاطمة الزهراء بوكرمة، الكفاءة مفاهيم ونظريات، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
4- محمد بوعلاق، مدخل لمقاربة التليم بالكفاءات، قصر الكتاب، البليدة، 2004.
5- محمد بوعلاق، يوم دراسي حول التدريس بالكفاءات والتدريس بالأهداف أية علاقة؟ جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2006.
6- محمد فاضل الجمالي ، تربية الإنسان الجديد، تونس، 1980.
7- Laurent Talbot, L'évaluation formative, collection U, sciences humaines et sociales, Armand Colin , Paris, 2009 .
8- Quel avenir pour les compétences ? ouvrage collectif ,De Boeck, 2000.